

## نقاشات وتوصيات ورشة العمل التي عقدت في معهد رادكليف- جامعة هارفارد

(9-10 تموز/ يوليو 2015)

اجتمع عدد من الباحثين والمتخصصين الذين قدموا من عدة أماكن في العالم، يومي التاسع والعاشر من تموز 2015 ، في معهد رادكليف للدراسات المتقدمة المرتبط بجامعة هارفارد، في جهد يستهدف مناقشة الأضرار التي لحقت بالارث الثقافي والأقليات وتفكك النسيج الاجتماعي والثقافي نتيجة الصراع في العراق، ودراسة سبل قياس وتوثيق وحفظ هذا الارث والتحويلات السكانية والذاكرات المرتبطة بهما.

تواصلت الورشة ليومين وتضمنت عدة جلسات نقاشية تناولت القضايا التالية :

١- التدمير الذي حصل في الآثار والمواقع التاريخية خلال العقود الأخيرة، مع التركيز على ما حصل في الموصل بعد سيطرة تنظيم داعش عليها.

٢- المخاطر على التنوع الثقافي في العراق وتراجع وجود الأقليات الدينية والعرقية، كالمسيحيين والأيزيديين والمندائيين والشبك والبهائيين والكاكائيين والتركمان.

٣- دراسة تجربة الجالية اليهودية في العراق وطبيعة اندماجها بالمجتمع العراقي وهجرتها من العراق والارث الثقافي اليهودي المتبقي في البلد.

٤- موضوع الطائفية وصعود الهويات الفرعية ومستقبل الهوية الوطنية العراقية.

٥- التحويلات السياسية والاطر القانونية الحاكمة للعلاقة بين الجماعات الثقافية والمجتمع الوطني العراقي.

٦- الطرق المنهجية لتتبع وأرشفة وتوثيق الذاكرات الثقافية وعلاقة المهجرين بمدنهم.

## تصورات عامة

رأى المشاركون ان العراق يشهد اليوم أعمال عنف شديدة الوطأة تهدد بمحو ثمانية آلاف عاماً من التراث الثقافي والذاكرة وقرن طويلة من التعددية الاثنية والدينية . ففي هذه البقعة التي شهدت كتابة التاريخ للمرة الاولى، تمر بعض من أهم تجسّدات ذلك التاريخ بمحنة الموت والتدمير، الأمر الذي جعلنا نعطي أولوية فائقة للتأثير الديموغرافي والثقافي الذي ينتجه العنف ويهدد بتغيير جذري في طبيعة السكان والثقافات، ونهاية جزء مهم من الذاكرة التاريخية للعراقيين التي هي ذاكرة انسانية غنية.

تركت الحرب الدائرة والعنف المرافق لها بعض الفئات السكانية والثقافات العريقة على حافة التدمير الشامل، واضطر الملايين من السكان الى هجرة بيوتهم ومدنهم وقرانهم في أكبر عمليات التهجير في التاريخ. هنالك أقليات دينية تقترب اليوم من الانقراض، وهو ما يتطلب منا جميعاً النظر الى ما يحدث ليس بوصفه حدثاً عابراً يضيع في زحمة الأحداث الكثيرة التي تشهدها المنطقة حالياً، بل تحولاً تاريخياً ذا تأثير سلبي عميق لا تقتصر مضاعفاته على العراق. نشهد بسرعة مخيفة اختفاء جماعات ومواقع وذاكرات ظلت قائمة لآلاف السنين، بل ودمار المتاحف التي شيدت بغرض الحفاظ عليها.

لكن علينا ان ننظر الى هذا التلاشي للارث التاريخي في سياق التحول في الوقائع السياسية داخل العراق التي صارت تهدد التنوع الاجتماعي والثقافي، بسبب ضعف الدولة والقانون والصراعات التي قامت على تسييس الهويات الاثنية والدينية والطائفية، وهي ظاهرة صارت تنتسح لتشمل بلدان اخرى في المنطقة. نتيجةً لذلك، تكاد الجماعات الأقلوية تختفي مع اختفاء الفضاءات السياسية-الاجتماعية المحايدة، وطرق فعّالة لحماية التنوع الثقافي.

لقد شخصنا في نقاشاتنا ثلاثة تحديات رئيسية يواجهها العراق اليوم:

### 1- فقدان التنوع الاجتماعي والثقافي : تشير بعض التقديرات التي أطلعنا عليها الى احتمال أن تختفي معظم الاقليات الدينية والاثنية

في العراق خلال خمسة اعوام . فمثلاً ، يهاجر أكثر من ألف أيزيدي شهرياً نحو فرنسا وألمانيا وتركيا وايران، كما أنّ المسيحية كثقافة ألفية والمسيحيون كجماعة في نينوى تطوى صفحاتهم منذ احتلال تنظيم داعش لمدينة الموصل في حزيران /يونيو 2014. وتشير بعض التقديرات ان أعداد المسيحيين في عموم البلاد لم تعد تتجاوز مائتين وخمسين ألفاً، بعد أن كانت تقدر بمليون ونصف المليون قبل العام 2003 ، في حين أضطر حوالي تسعمائة ألف مواطن الى التخلي عن بيوتهم في الانبار بعد التقدم العسكري لداعش في المحافظة. كذلك تراجع عدد المندائيين من حوالي خمسين ألفاً قبل العام ٢٠٠٣ الى مايقدر بـ ٣٠٠٠ ، أي

انهم فقدوا ٩٠ بالمئة من وجودهم، ولا يتجاوز عدد البهائيين وفق بعض الاحصاءات الألفين، وهم غير معترف بهم كطائفة دينية، كما أرغم الشبك والكاكائيين على ترك مناطق سكناهم في نينوى من قبل تنظيم داعش.

وفي هذا السياق، يمكن النظر الى خروج 118 ألف مواطن يهودي من العراق خلال القرن العشرين كمؤشر خطير على مصير بقية الاقليات الدينية غير المسلمة، كما ان عدم ذكر هذه الطائفة في الدستور وعدم الاشارة لهم في قانون الجنسية يحرم ما يقرب من نصف مليون يهودي خارج العراق من التواصل مع وجود مستمر اكثر من 2500 عاما داخل العراق. استنتجنا من كل ذلك ان العراق يشهد عملية متسارعة للقضاء على التنوع السكاني والثقافي، وهي عملية تشهدها معظم بلدان المنطقة بسبب الصراعات الجارية وتنامي نزعات المجانسة السكانية، لكنها في العراق تحدث بوتيرة سريعة .

2- **فقدان الأثر الثقافي** : رغم ان عمليات التهجير التي تجري اليوم تمثل المأساة الانسانية الاكثر الحاحاً، فان الدمار الذي لحق بالآثار والمباني التاريخية لا يقل خطورةً، خصوصاً من حيث أنه يمثل التجسيد المادي لعملية محو الذاكرة الجارية. هنالك حوالي 12-14 الف موقع حضاري وتاريخي في العراق ، ويكاد يكون من المستحيل توفير الحماية لها جميعاً.

لقد تم تدمير 42 بناية تاريخية و 12 مقبرة عريقة في المناطق التي تسيطر عليها الجماعات الارهابية. ومن بين المواقع التي اعتدت عليها داعش ودمرت بعضها تدميراً تاماً هنالك موقع الحضرة ، وأشور ، و خورسآباد ، والنمرود. ولم ينجُ الارث الاسلامي في الموصل من التدمير ، فقد تم تفجير جامع النبي يونس وجامع النبي شيت وضريح النبي دانيال وضريح الشيخ فتحي وضريح الامام يحيى بن قاسم. الى جانب ذلك ، لم تتوقف عمليات تهريب القطع الأثرية النفيسة، سواء من قبل الجماعات الارهابية ام الشبكات الاجرامية. ان هذه المواقع والآثار تمثل بالنسبة للجماعات المهجرة ، نقاط ارتباط بمدنها الأصلية ورموز تحفظ ذاكراتها وهوياتها، وبالتالي فان تدميرها وازالتها يعد جريمةً ضد سكان تلك المناطق، وضد الدولة التي ينتمون اليها.

3- **الانقسامات السياسية** : أحد أهم مصادر عدم الاستقرار وازدياد حدة الصراعات على أسس اثنية ودينية وطائفية هو تسييس الاختلافات الدينية والاثنية والطائفية، وضعف السياسات الهادفة الى تطوير هوية وطنية شاملة تستوعب تنوعات النسيج الاجتماعي العراقي وثقافته المتعددة الجذور. ومن الواضح ان الاحتلال الامريكي للعراق في العام 2003 كان له تأثير سيء في تكريس هذه الانقسامات، خصوصاً أن احد نتائج هذا الاحتلال الذي تبع سنوات طويلة من الحكم الديكتاتوري الاقصائي هو ابراز الهويات الفرعية كمعرف رئيسي للجماعات والولاءات، وتعميق الحدود الفاصلة بين تلك الجماعات. مع ذلك ، فان للعراقيين مسؤولية كبيرة في مواجهة الأوضاع السياسية والاجتماعية لبلادهم . وفي هذا الصدد، من المهم تجاوز الخطابات ذات المركزية

الطائفية والاثنية، والتوجه بدلاً من ذلك الى التأكيد على العناصر المشتركة بين الثقافات العراقية المتعددة، وتطوير فهم للهوية العراقية قائم على المواطنة كبديل عن سياسات الهوية.

## توصيات

ومن اجل مواجهة هذه المخاطر والآثار التدميرية للعنف والتهجير وضياح الارث الثقافي العراقي، رأى المشاركون ان الجهود يجب أن تنتظر لحماية التنوع الثقافي في العراق الارث الثقافي الغني للبلد. ومن بين التوصيات التي اتفقوا عليها :

(1) دعم إصدار تشريعات واتخاذ اجراءات تنفيذية لحماية التنوع القومي والديني واللغوي في العراق، والاعتراف بثقافة جماعات الاقليات كجزء أصيل من الهوية الوطنية العراقية، وحماية معابدها ومواقعها الثقافية والدينية، وضمان عودة المهجرين منها الى مناطقهم الأصلية بعد زوال الظروف التي فرضت عليهم الهجرة. وفي هذا الصدد، لابد من توفير ضمانات أمنية وقانونية لهم، تسمح بتحسين شروط حماية الأقليات وتسهيل استعادة أملاكها الشخصية، وادارتها لمواقعها الدينية، وتوثق حجم الدمار الذي حصل في المواقع الأخرى. وهنا، قد يكون مناسباً البدء بالتعامل مع احتياجات الأقليات الموجودة تحت سلطة الحكومة المركزية وحكومة اقليم كردستان والحكومات المحلية، والتي تعاني بدورها من التضييق الى حد فقدان وجودها التاريخي تدريجياً.

(2) دعم تفعيل التشريعات التي تنص على حماية الآثار والمواقع التاريخية والدينية، ومنها قانون الآثار والتراث رقم 55 لسنة 2002 الذي يعد الآثار والتراث الثقافي اهم الثروات الوطنية، وأرشفة وتوثيق ما جرى من دمار أو سرقة لها من اجل تسهيل عملية استعادة ما يمكن استعادته منها مستقبلاً. ومن المهم هنا العمل من اجل الحصول على دعم دولي في ملاحقة القطع المهربة وشبكات التهريب.

(3) تبني مبادرات تعليمية وتنقيفية تؤكد على التنوع الثقافي العراقي وتردم الفجوة بين الجماعات الثقافية المختلفة في العراق. وبهذا الصدد، يدعم المشاركون اعادة النظر في المناهج الدراسية بما يتلاءم مع طبيعة المجتمع التعددية ويخلص هذه المناهج من المواد الخلافية لا سيما في ما يخص تدريس مادتي التاريخ والدين، ويسهم من جهة اخرى في التعريف بالتنوع الثقافي العراقي في الحاضر والذي يعد ثروة وطنية، ويعطي بعداً وطنياً تأسيسياً للماضي العريق من تراث وحضارات في بلاد ما بين النهرين، وهو ما يعد مشتركاً بين جميع العراقيين على اختلاف خلفياتهم الاثنية. كذلك يرون ضرورة اعتماد برامج تسهم بربط الأجيال الجديدة بالارث الثقافي العراقي بمجمله وبدون تمييز بين حقبة، عبر الرحلات المدرسية الى المتاحف والمواقع الاثرية الآمنة. كذلك العمل

على تأسيس متحف للثقافات العراقية، يعمل على تمثيل الثقافات المعرضة لتحدي الزوال والانقراض من جهة، ويمنح المشروع بعداً تأسيسياً لهوية تقوم على اساس تعددي مصدره ثراء الهويات العراقية على اختلافها.

### خطة عمل

اتفق المشاركون على الخطوات التالية في اطار خطة لمواصلة العمل على تتبع وتوثيق وأرشفة الارث الثقافي العراقي والهجرات السكانية وعلاقتها بالصراع في البلاد:

- ١- اصدار ورقة العمل هذه التي تعرف بموضوع ورشة العمل ونقاشاتها وتصوراتها العامة وتوصياتها.
- ٢- الاعداد لكتاب مشترك يساهم به عدد من المشاركين يتناول مختلف الجوانب المتعلقة بقضية "الهوية والعنف في العراق".
- ٣- وضع خطة لبناء قاعدة معلومات للتاريخ الشفاهي للمهجرين العراقيين تسهم في توثيق معاناتهم وقصصهم وذكرياتهم عن الأماكن التي هاجروا منها واتاحتها للمهتمين والباحثين ومنظمات المجتمع المجني والجهات الحكومية ذات العلاقة.

### المشاركون

حارث حسن القرعاي - باحث في العلوم السياسية وزميل سابق في معهد رادكليف

ماتيو شوايتزر - جامعة شيكاغو

ايمّا سكاى - جامعة يال

هشام داود - المركز الوطني الفرنسي للبحوث العلمية

سعد سلوم - الجامعة المستنصرية

ارين وينتير - جامعة هارفارد

عبد الامير الحمداني - جامعة ولاية نيويورك

زهير الجزائري – صحفي وكاتب عراقي

فخر حداد – الجامعة الوطنية في سنغافورة

اوريت باشكين – جامعة شيكاغو

كاثرين لوتز – جامعة براون

ليلي صالح – وزارة السياحة والآثار في العراق

كريستين فان ديتورن- الجامعة الأمريكية في السلبيمانية

ايدوين شكر – المجلس اليهودي الاوربي

محمد المصيح – باحث في شؤون النزاعات الداخلية

عباس فاضل – جمعة روجيرز